بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة ق

وهي خمسٌ وأربعون آية

مكيةٌ كلُّها في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر. قال ابن عباس وقتادة: إلا آية، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [الآية: ٣٨][(١)].

وفي صحيح مسلم عن أمِّ هشام بنت حارثةَ بن النعمان قالت: لقد كان تَنُّورنا وتَنُّور رسول الله ﷺ واحداً، سنتين أو سنةً وبعضَ سنة، وما أخذتُ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ إلَّا عن لسان رسول الله ﷺ؛ يقرؤها كلَّ يومِ جمعةٍ على المنبر، إذا خطب الناس[(٢)].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ، سألَ أبا واقدٍ الليثيّ: ما كان يقرأُ به رسول الله ﷺ في الأضحى والفطر؟ فقال: كان يقرأُ فيهما بـ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ و﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١][(٣)].

وعن جابر بن سَمُرةَ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقرأ في الفجر بـ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾، وكان[(٤)] صلاتُه بعدُ تخفيفاً[(٥)].

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٣٣٩.

(٢) صحيح مسلم (٨٧٣): (٥٢)، وأخرجه أيضاً أحمد (٢٧٤٥٦).

(٣) أخرجه مسلم (٨٩١): (١٤).

(٤) في (ق) و(م): وكانت.

(٥) أخرجه أحمد (٢٠٨٥٤) (٢١٠٠٣)، ومسلم (٤٥٨).

قوله تعالى: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ۝٤ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ قرأ العامَّةُ: «قاف» بالجزم. وقرأ الحسن وابنُ أبي إسحاق ونصر بن عاصم: «قافِ» بكسر الفاء[١]؛ لأنَّ الكسرَ أخو الجزم، فلمَّا سَكَنَ آخِرُهُ، حرَّكوه بحركة الخفض. وقرأ عيسى الثقفيُّ بفتح الفاء[٢] حرَّكه إلى أخفِّ الحركات. وقرأ هارونُ ومحمد بن السَّمَيْفَع: «قافُ» بالضم[٣]؛ لأنَّه في غالب الأمر حركةُ البناء، نحو: منذُ وقطُّ وقبلُ وبعدُ.

واختلف في معنى «ق» ما هو؟ فقال يزيد[٤] وعكرمةُ والضَّحَّاك: هو جبل محيطٌ بالأرض من زُمرُّدةٍ خضراءَ، اخضرَّتِ السماءُ منه، وعليه طَرَفا السماءِ، والسماءُ عليه مَقْبِيَّةٌ، وما أصابَ الناسُ من زُمرُّدٍ، كان مما تساقطَ من ذلك الجبل[٥]. ورواه أبو الجوزاء عن عبد الله بن عباس.

قال الفرَّاء: كان يجب على هذا أن يظهرَ الإعرابُ في «ق»؛ لأنَّه اسمٌ وليس بهجاء. قال: ولعلَّ القافَ وحدها ذُكرتْ من اسمه؛ كقول القائل[٦]:

قلتُ لها قِفي فقالتْ قافْ

أي: أنا واقفة[٧]. وهذا وجهٌ حسنٌ. وقد تقدَّم أوّل «البقرة»[٨].

---

(١) قراءة الحسن وابن أبي إسحاق في المحتسب ٢/ ٢٨١.

(٢) القراءات الشاذة ص١٤٤، والمحتسب ٢/ ٢٨١.

(٣) ينظر البحر المحيط ٨/ ١٢٠.

(٤) في (ف) و(ق) و(م): ابن زيد. والمثبت من (ظ)، وهو الموافق للمحرر الوجيز.

(٥) ينظر قولهم في تفسير البغوي ٤/ ٢٢٠، والمحرر الوجيز ٥/ ١٥٥.

(٦) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط وقد سلف ١/ ٢٣٩.

(٧) معاني القرآن للفراء ٣/ ٧٥.

(٨) ١/ ٢٣٩.

وقال وهب: أشرفَ ذو القرنين على جبلِ قاف، فرأى تحتَهُ جبالاً صغاراً، فقال له: ما أنت؟ قال: أنا قاف؛ قال: فما هذه الجبالُ حولك؟ قال: هي عروقي، وما من مدينةٍ إلا وفيها عِرقٌ من عروقي، فإذا أراد اللهُ أنْ يزلزل مدينةً، أمرني فحرَّكتُ عِرقي ذلك، فتزلزلتْ تلك الأرض؛ فقال له: يا قاف، أخبرني بشيءٍ من عظمةِ الله؛ قال: إنَّ شأن ربِّنا لعظيمٌ، وإنَّ ورائي أرضاً مسيرة خمس مئة عام في خمس مئة عام، من جبالِ ثلجٍ يحطم بعضُها بعضاً، لولا هي لاحترقتُ من حرِّ جهنَّم. قال: زدني، قال: إنَّ جبريلَ عليه السلام واقفٌ بين يدي الله تُرْعَدُ فرائصُه، يخلقُ الله من كلِّ رِعدةٍ مئةَ ألف ملك، فأولئك الملائكة وقوفٌ بين يدي الله تعالى، منكِّسو رؤوسهم، فإذا أذِنَ الله لهم في الكلام قالوا: لا إله إلَّا الله؛ وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨] يعني قول: لا إله إلا الله[١].

وقال الزجَّاج[٢]: قوله: «ق» أي: قُضِيَ الأمر، كما قيل في «حم» أي: حُمَّ الأمرُ. وقال ابن عباس: «ق» اسمٌ من أسماء الله تعالى أقسم به[٣]. وعنه أيضاً: أنَّه اسمٌ من أسماء القرآن. وهو قول قتادة[٤]. وقال القُرظيُّ: افتتاحُ أسماء الله تعالى قديرٌ وقاهرٌ وقريبٌ وقاضٍ وقابض[٥]. وقال الشَّعبيُّ: فاتحةُ السورة[٦]. وقال أبو بكر

(١) قال ابن كثير في تفسيره ٧/ ٣٩٤: كأن هذه من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، لِمَا رأى من جواز الرواية عنهم فيما لا يصدق ولا يكذب. وعندي أنّ هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق زنادقتهم، يلبّسون على الناس أمر دينهم... وإنما أباح الشارع الرواية عنهم... فيما قد يجوزه العقل، فأما ما تحيله العقول ويحكم عليه بالبطلان، ويغلب على الظن كذبه، فليس من هذا القبيل. والله أعلم.

(٢) في معاني القرآن ٥/ ٤١.

(٣) أخرجه الطبري ٢١/ ٤٠٠.

(٤) ذكره عن ابن عباس ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٥٥، وأخرجه عن قتادة الطبريُّ ٢١/ ٤٠٠.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٢٠، والمحرر الوجيز ٥/ ١٥٦.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٥، وفيه: اسم السورة.

الورَّاق: معناه: قِفْ عند أمرنا ونهينا ولا تَعْدُهما[١]. وقال محمد بن عاصم الأنطاكيُّ: هو قُرْبُ الله من عباده، بيانه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾. وقال ابنُ عطاء: أقسم اللهُ بقوَّة قلب حبيبه محمدٍ ﷺ، حيثُ حَمَلَ الخطابَ، ولم يُؤثِّر ذلك فيه؛ لعلوِّ حاله[٢].

﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ أي: الرفيع القدر. وقيل: الكريم؛ قاله الحسن. وقيل: الكثير؛ مأخوذٌ من كثرة القَدْرِ والمنزلة، لا من كثرة العدد، من قولهم: كثير فلان[٣] في النفوس؛ ومنه قول العرب في المثل السائر: لها[٤] في كلِّ شجرٍ نار، واسْتمجدَ المَرْخُ والعَفار[٥]. أي: استكثر هذان النوعان من النَّار، فزادا على سائر الشجر؛ قاله ابن بحر[٦].

وجواب القسم قيل هو: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ على إرادة اللام؛ أي: لقد علمنا. وقيل: هو ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ [ق: ٣٧] وهو اختيارُ الترمذيِّ محمد بن عليٍّ قال: «ق» قَسَمٌ باسمٍ هو أعظمُ الأسماء التي خَرجتْ إلى العباد: وهو القدرة، وأقْسم أيضاً بالقرآن المجيد، ثم اقتصَّ ما خَرجَ من القدرة من خَلْقِ السماوات والأرضين وأرزاق العباد، وخَلْقِ الآدميين، وصفةِ يوم القيامة والجنة والنار، ثم قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] فوقع القسمُ على هذه الكلمة، كأنَّه قال: «ق» أي: بالقدرة والقرآن المجيد، أقسمتُ أنَّ فيما اقتصصتُ في هذه

---

(١) زاد المسير ٨/ ٥ .

(٢) ذكر أبو حيان في البحر ٨/ ١٢٠ أن المفسرين اختلفوا في مدلول «ق» على أحد عشر قولاً متعارضة، لا دليل على صحة شيء منها.

(٣) في النكت والعيون ـ والكلام منه ـ : فلان كثير.

(٤) لفظة: لها. ليست في (م).

(٥) المَرْخ والعَفار شجرتان من أسرع الشجر خروج نار، والاستمجاد: الاستكثار من المجد، وهو كثرة الشرف؛ وهذا المثل يضرب في تفضيل القوم على بعض إذا كانوا كلهم ذوي خير، ولبعضهم مزية وتَقدُّمٌ ليس للآخرين. المستقصى في أمثال العرب ٢/ ١٨٣-١٨٤ .

(٦) النكت والعيون ٥/ ٣٤٠ .

السورة ﴿لِذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

وقال ابن كيسان: جوابه ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾. وقال أهل الكوفة: جواب هذا القسم ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ﴾[١]. وقال الأخفش[٢]: جوابه محذوف، كأنَّه قال: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ لَتُبعثُنَّ، يدلُّ عليه: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾.

قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ «أنْ» في موضع نصبٍ على تقدير: لأن جاءهم منذرٌ منهم، يعني محمداً ﷺ. والضميرُ للكفَّار، وقيل: للمؤمنين والكفار جميعاً[٣]. ثم ميَّز بينهم بقوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ولم يقل: فقالوا، بل قبَّح حالَهم وفِعلَهم[٤] وَوَصَفَهُمْ بالكفر، كما تقول: جاءني فلانٌ فأسمعني المكروهَ، وقال لي الفاسق: أنت كذا وكذا.

﴿هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ العجيب: الأمر الذي يُتعجَّبُ منه، وكذلك العُجابُ؛ بالضمِّ، والعُجَّابُ ـ بالتشديد ـ أكثر منه، وكذلك الأُعجوبة[٥]. وقال قتادة: عجَّبهم أن دُعوا إلى إله واحد. وقيل: من إنذارهم بالبعث والنشور[٦]. والذي نصَّ عليه القرآن أولى.

قوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ نُبعث؛ ففيه إضمار. ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ الرَّجع: الرَّدُّ، أي: هو ردٌّ بعيد، أي: محال. يقال: رَجَعْته أرْجِعه رَجْعًا، ورَجَع هو يَرجِع رُجوعاً، وفيه إضمارٌ آخر، أي: وقالوا أنُبْعَثُ إذا متنا. وذِكْرُ البعثِ وإنْ لم يَجْرِ هاهنا، فقد جرى في مواضع، والقرآنُ كالسورة الواحدة. وأيضاً ذِكْرُ البعثِ منطوٍ تحت قوله: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ لأنَّه إنَّما يُنذر بالعقاب والحساب في الآخرة.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٥٥.

(٢) في معاني القرآن له ٢/ ٦٩٦ بنحوه. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ١٥٥.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ١٥٦.

(٤) قوله: وفعلهم. من (م).

(٥) الصحاح (عجب).

(٦) النكت والعيون ٥/ ٣٤٠.

قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ أي: ما تأكلُ من أجسادهم، فلا يَضِلُّ عنَّا شيءٌ حتى تتعذَّر علينا الإعادة. وفي التنزيل: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ . قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥١-٥٢].

وفي الصحيح: «كلُّ ابنِ آدم يأكلُه التراب، إلا عَجْبَ الذَّنَبِ، منه خُلِقَ وفيه يُرَكَّبُ» وقد تقدَّم[١].

وثبت أنَّ الأنبياء والأولياء والشهداء لا تأكلُ الأرضُ أجسادهم؛ حرَّم الله على الأرض أن تأكلَ أجسادهم. وقد بيَّنَّا هذا في كتاب «التذكرة»، وتقدَّم أيضاً في هذا الكتاب[٢].

وقال السُّدِّي: النقص هنا الموت، يقول: قد علمنا منهم من يموتُ ومن يبقى[٣]؛ لأنَّ من مات دُفِنَ، فكأنَّ الأرض تَنقُصُ من الناس.

وعن ابن عباس: هو من يدخل في الإسلام من المشركين[٤].

﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾ أي: بعدَّتهم وأسمائهم، فهو فعيلٌ بمعنى فاعل. وقيل: اللوح المحفوظ[٥]، أي: محفوظٌ من الشياطين، أو محفوظٌ فيه كلُّ شيء. وقيل: الكتاب عبارةٌ عن العلم والإحصاء؛ كما تقول: كتبتُ عليك هذا، أي: حفظتُهُ. وهذا تَرْكُ الظاهر من غير ضرورة. وقيل: أي: وعندنا كتابٌ حفيظٌ لأعمال بني آدم، لنحاسبهم عليها.

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: القرآن في قول الجميع؛ حكاه

---

(١) صحيح مسلم (٢٩٥٥): (١٤٢)، وسلف معناه ١٧/ ٤٩٠ .

(٢) التذكرة ١/ ١٦٣-١٦٤ ، وسلف ٥/ ٤٠٩ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٢٠ .

(٤) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٥٧ نقلاً عن الثعلبي. ثم قال: وهذا قولٌ أجنبي من المعنى الذي قبل وبعد.

(٥) الوسيط للواحدي ٤/ ١٦٣ .

الماورديُّ[١]. وقال الثعلبيُّ: بالحقِّ: القرآن. وقيل: الإسلام. وقيل: محمدٌ ﷺ.

﴿فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ أي: مختلط. يقولون مرَّةً: ساحر، ومرَّةً: شاعر، ومرَّةً: كاهن؛ قاله الضَّحَّاك وابنُ زيد. وقال قتادة: مختلِف. الحسن: مُلتبِس؛ والمعنى متقارب. وقال أبو هريرة: فاسد[٢]، ومنه: مَرِجَتْ أماناتُ الناس، أي: فسدت؛ ومَرِجَ الدينُ والأمرُ: اختلط. قال أبو دؤاد:

مَـرِجَ الـدِّيـنُ فَـأعْـدَدْتُ لـه مُشْرِفَ الحارِكِ محبوكَ الكَتَدْ[٣]

وقال ابن عباس: المَرِيج: الأمر المنكر[٤]. وقال عنه عمران بن أبي عطاء: «مريج»: مختلط[٥]. وأنشد:

فجالتْ فالتمستُ به حَشاها فَخرَّ كأنه خُوطٌ مَريجُ[٦]

الخُوطُ: الغصن.

وقال عنه العوفيُّ: في أمرِ ضلالة[٧]، وهو قولهم: ساحرٌ شاعرٌ مجنونٌ كاهن. وقيل: متغيِّر.

---

(١) في النكت والعيون ٥/ ٣٤١.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٣٤١ دون ذكر ابن زيد، وأخرجه عنه الطبري ٢١/ ٤٠٨. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢٠.

(٣) الصحاح (مرج)، والبيت أيضاً في إصلاح المنطق ص٩٠، وأمالي القالي ٢/ ٣١٠. قال البكري في سمط اللآلي ٢/ ٩٥٧: الكتد: موصل العنق في الظهر، ومحبوك: مُدمج. اهـ. والحارِك: أعلى الكاهل، وقيل: الحارك منبت أدنى العُرف إلى الظهر الذي يأخذ به الفارس إذا ركب.

(٤) أخرجه الطبري ٢١/ ٤٠٦، واستدل عليه ابنُ عباس بالبيت الآتي.

(٥) أخرج الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما مريج: مختلف. وكذا ذكره النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٢٢٠ دون إسناد.

(٦) البيت لعمرو بن الداخل الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ٣/ ١٠٣. وفيه: فراغت، بدل: فجالت. قال شارحه: راغت، أي: البقرة، وخرَّ السهم: سقط كأنه خوطٌ، أي غصن. مريج، أي: سهل.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢٠ دون ذكر العوفي.

وأصل المَرَج: الاضطراب والقلق. يقال: مَرِجَ أمرُ الناس، ومَرِج الدِّين[١]، ومَرِج الخاتم في إصبعي، إذا قَلِقَ من الهزال.

وفي الحديث: «كيف بك يا عبدَ الله إذا كنتَ في قومٍ قد مَرِجَتْ عهودُهم وأمانَاتُهم، واختلفوا، فكانوا هكذا وهكذا». وشبَّك بين أصابعه. أخرجه أبو داود[٢]، وقد ذكرناه في كتاب «التذكرة»[٣].

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾ نظرَ اعتبار وتفكُّر، وأنَّ القادرَ على إيجادها قادرٌ على الإعادة. ﴿كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ فرفعناها بلا عَمَد ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالنجوم ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ جمع فَرْج: وهو الشَّق؛ ومنه قول امرئ القيس:

تَسُدُّ بِهِ فَرجَها من دُبُرْ[٤]

وقال الكسائي: ليس فيها تفاوت ولا اختلاف ولا فتوق[٥]. ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ تقدَّم في «الرعد» بيانه[٦]. ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ﴾ أي: من كل نوع من النبات ﴿بَهِيجٍ﴾ أي: حَسَنٍ يسرُّ الناظرين. وقد تقدَّم في «الحج» بيانه[٧].

---

(١) في (م): ومرج أمر الدين، والمثبت موافق لغريب القرآن لابن قتيبة ص٤١٧ والكلام منه.

(٢) في سننه (٤٣٤٢)، (٤٣٤٣)، وسلف ١٣/٥٨.

(٣) ٢/٥٥١.

(٤) ديوان امرئ القيس ص١٦٤، وصدره: لها ذنب مثل ذيل العروس.

(٥) مجمع البيان ٢٦/١٠٣.

(٦) ١٢/٨.

(٧) ١٤/٣٢٥.

﴿تَبْصِرَةً﴾ أي: جعلنا ذلك تبصرةً لِنَدُلَّ به على كمال قدرتنا. وقال أبو حاتم: نصب على المصدر؛ يعني: جعلنا ذلك تبصيراً وتنبيهاً على قدرتنا ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ معطوف عليه.

﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: راجعٍ إلى الله تعالى، مفكِّرٍ في قدرته[١].

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من السحاب ﴿مَآءً مُّبَـٰرَكًا﴾ أي: كثير البركة. ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ التقدير: وحبَّ النبت الحصيد، وهو كلُّ ما يُحصد. هذا قول البصريين[٢]. وقال الكوفيون: هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه، كما يقال: مسجد الجامعِ، وربيعُ الأوّلِ، وحقُّ اليقينِ، وحبل الوريد، ونحوها؛ قاله الفرّاء[٣]. والأصل: الحبُّ الحصيد، فحُذفتِ الألف واللام، وأضيف المنعوت إلى النعت.

وقال الضحاك: حبُّ الحصيد: البُرُّ والشَّعيرُ. وقيل: كلُّ حبٍّ يُحْصد ويُدَّخر ويُقتات[٤].

﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ﴾ نصب[٥] ردًّا[٦] على قوله: «وَحَبَّ الحَصِيدِ» و«بَاسِقَاتٍ» حال. والباسقات: الطِّوال؛ قاله مجاهد وعكرمة وقتادة. وقال عبد الله[٧] بن شدَّاد: بُسُوقها: استقامتها في الطول[٨].

وقال سعيد بن جبير: مستويات[٩]. وقال الحسنُ وعكرمة أيضاً والفرَّاء: مواقير

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٤٣ .

(٢) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢١ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨٣ .

(٣) في معاني القرآن ٣/ ٧٦ .

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٤٢ دون نسبة.

(٥) في النسخ: نصب على الحال، ولعل قوله: «على الحال» سبق قلم. والصواب حذفه.

(٦) في (ف): معطوف.

(٧) في (م): قاله مجاهد وعكرمة وقال قتادة وعبد الله... وهو خطأ، والمثبت من النسخ الخطية، وهو الموافق لتفسير البغوي ٤/ ٢٢١ ، وغيره.

(٨) أخرجه الطبري ٢١/ ٤١٢ .

(٩) تفسير البغوي ٤/ ٢٢١ .

حوامل؛ يقال للشاة: بَسَقَتْ، إذا ولدت[١]، قال الشاعر:

فلما تَركنا الدار ظَلَّتْ[٢] مُنيفةً بِقُرَّانَ فيه الباسقاتُ المَواقرُ[٣]

والأوّل في اللغة أكثر وأشهر؛ بسَقَ النخلُ بسُوقاً: إذا طال. قال[٤]:

لنا خمرٌ وليستْ خمرَ كَرْمٍ ولكنْ من نِتاج الباسقاتِ

كرامٌ في السماء ذَهَبْنَ طُولاً وفاتَ ثمارُها أيدي الجُناةِ

ويقال: بسق فلانٌ على أصحابه، أي: عَلَاهم، وأبسقتِ الناقةُ: إذا وقع في ضَرْعها اللِّبَأ[٥] قبل النِّتاج، فهي مُبْسِق، ونُوقٌ مباسيق.

وقال قطبةُ بنُ مالك: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقرأ: «بَاصِقَاتٍ» بالصاد؛ ذكره الثعلبيّ[٦].

قلت: الذي في صحيح مسلم عن قطبةَ بن مالك قال: صلَّيتُ وصلَّى بنا رسولُ الله ﷺ فقرأ: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ حتى قرأ: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ قال: فجعلتُ أردِّدها، ولا أدري ما قال[٧]. إلَّا أنَّه يجوز[٨] إبدالُ الصاد من السين لأجل القاف[٩].

---

(١) في النسخ الخطية: إذا بسقت ولدت، والمثبت من (م). وقول عكرمة في النكت والعيون ٥/ ٣٤٣ بنحوه، وأخرجه عنه الحربي في غريب الحديث ٣/ ١١٢٣ بلفظ: بسوقها كبسوق الشاة عند الولادة. وأخرجه بنحوه عبد بن حميد وابن المنذر ضمن قصة كما في الدر المنثور ٦/ ١٠٢ .

(٢) في (ق): طلَّت.

(٣) البيت للراعي النُّميري، وهو في ديوانه ص١١١ ، فلما تركْنَ الدار قلت منيفة، بقُرَّان منها. . . وقوله: منيفة، أي: تامة الطول والحُسن، وقُرَّان: قرية باليمامة.

(٤) هو أبو نواس، والبيتان في ديوانه ص١١٨ ، وسلفا ٨/ ١٦٩ .

(٥) في (ظ) و(م): اللبن، والمثبت من (ف) و(ق) وهو الموافق للصحاح (بسق) والكلام منه. واللِّبَأ؛ كعِنَب: أول اللبن في النِّتاج.

(٦) وأخرجه الطبراني في الأوسط (٤٧٩٧)، والصغير (٦٩٠). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٥٦ : فيه عبد الله بن محمد بن صبيح، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. اهـ.

وقطبة بن مالك هو الثعلبي، ويقال الذبياني. قال البخاري وابن أبي حاتم: له صحبة. الإصابة ٨/ ١٦٥ .

(٧) صحيح مسلم (٤٥٧)، وأخرجه أحمد (١٨٩٠٣).

(٨) يعني في اللغة، لا في التلاوة، ووقع في (م): لا يجوز!

(٩) المحتسب ٢/ ٢٨٢-٢٨٣ والكشاف ٤/ ٥ .

﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ الطَّلْعُ: هو أوَّلُ ما يخرجُ من ثمر النخل؛ يقال: طَلَع الطَّلْعُ طُلُوعاً، وأطلعتِ النخلةُ، وطَلعها: كُفُرَّاها[١] قبل أنْ ينشقَّ.

﴿نَضِيدٌ﴾ أي: متراكبٌ قد نُضِّد بعضُه على بعض. وفي البخاريّ: «النَّضِيدُ»: الكُفُرَّى مادام في أكمامه، ومعناه: منضودٌ بعضُه على بعض؛ فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد[٢].

﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ أي: رزقناهم رزقاً، أو على معنى: أنبتناها رزقاً؛ لأنَّ الإنبات في معنى الرزق، أو على أنَّه مفعولٌ له، أي: أنبتناها لنرزقهم[٣]، والرزقُ: ما كان مهيَّأً للانتفاع به. وقد تقدَّم القول فيه[٤].

﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ أي: من القبور، أي: كما أحيا الله هذه الأرض الميتةَ؛ فكذلك يخرجكم أحياءً بعد موتكم، فالكاف في محل رفع على الابتداء[٥]. وقد مضى هذا المعنى في غير موضع[٦]. وقال: «مَيْتًا»؛ لأنَّ المقصودَ المكانُ، ولو قال: ميتة، لجاز.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ أي: كما كذَّب هؤلاء، فكذلك كذَّب أولئك فحلَّ بهم العقاب؛ ذكَّرهم نبأَ من كان قبلَهم من المكذِّبين وخوَّفهم ما أخذهم.

---

(١) الكُفُرَّى: هو وعاء طلع النخل. الصحاح (كفر).

(٢) صحيح البخاري قبل الحديث (٤٨٤٨).

(٣) في (م): لرزقهم. والمثبت من النسخ الخطية، وهو الموافق للكشاف ٤/ ٥ ، والكلام منه.

(٤) ١/ ٢٧٢ .

(٥) الكشاف ٤/ ٥ .

(٦) ١/ ٣٧٤ .

وقد ذكرنا قصصهم في غير موضع عند ذكرهم.

﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ من هذه الأمم المكذبة .﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أي: فحقَّ عليهم وعيدي وعقابي.

قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ أي: أفعيينا به فنعيا بالبعث. وهذا توبيخٌ لمنكري البعث، وجوابُ قولهم: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾. يقال: عَييتُ بالأمر، إذا لم تعرفْ وجهه[١].

﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: في حَيْرةٍ من البعث، منهم مصدِّقٌ ومنهم مكذِّب[٢]؛ يقال: لَبَس عليه الأمرُ يَلْبِسه لَبْساً.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني: الناس، وقيل: آدم[٣] .﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ أي: ما يختلج في سرِّه وقلبه وضميره، وفي هذا زجرٌ عن المعاصي التي يُستخفى بها. ومن قال: إنَّ المراد بالإنسان آدم؛ فالذي وسوستْ به نفسُهُ هو الأكلُ من الشجرة، ثم هو عامٌّ لولده. والوسوسةُ: حديثُ النفس بمنزلة الكلام الخفيّ. قال الأعشى:

تَسمع للحَلي وَسواساً إذا انصرفتْ كما استعان بريح عِشْرِقٌ زَجِلُ

وقد مضى في «الأعراف»[٤].

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ هو حبل العاتق وهو ممتدٌّ من ناحية حَلْقِهِ إلى

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٤٣ .

(٢) هذا معنى قول قتادة الذي أخرجه عنه الطبري ٢١/ ٤٢١ .

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ١٥٩ .

(٤) ٩/ ١٧٥ . والبيت في ديوان الأعشى ص١٠٥ . وسلف شرحه ثمة.

عاتقه، وهما وريدان عن يمينٍ وشمال. روي معناه عن ابن عباس[١] وغيره، وهو المعروف في اللغة. والحبل: هو الوريد، فأُضيف إلى نفسه؛ لاختلاف اللفظين[٢].

وقال الحسن: الوريد: الوتين وهو عِرقٌ معلَّقٌ بالقلب[٣]. وهذا تمثيل للقرب؛ أي: نحن أقربُ إليه من حبل وريده الذي هو منه، وليس على وجه قرب المسافة.

وقيل: أي: ونحن أَملك به من حبل وريده مع استيلائه عليه. وقيل: أي: ونحن أعلمُ بما توسوس به نفسه[٤] من حبل وريده الذي هو من نفسه؛ لأنَّه عِرقٌ يخالط القلب، فَعِلْمُ الربِّ أقربُ إليه من علم القلب، روي معناه عن مقاتل قال: الوريد عِرْقٌ يخالطُ القلب. وهذا القربُ قرب العلم والقدرة، وأبعاضُ الإنسان يَحجبُ البعضُ البعضَ، ولا يحجبُ علمَ الله شيء[٥].

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي: نحن أقربُ إليه من حبل وريده حين يتلقَّى المتلقيان، وهما الملكان الموكَّلان به[٦]، أي: نحن أعلم بأحواله؛ فلا نحتاج إلى مَلَكٍ يخبر، ولكنهما وَكِّلا به إلزاماً للحُجَّة، وتوكيداً للأمر عليه.

وقال الحسن ومجاهد وقتادة: «المُتَلَقِّيَانِ»: ملَكان يتلقيان عملك؛ أحدهما عن يمينك يكتب حسناتك، والآخر عن شمالك يكتب سيئاتك. قال الحسن: حتى إذا متَّ طُوِيت صحيفةُ عملك، وقيل لك يوم القيامة: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] عَدَلَ واللهِ عليك من جعلك حسيبَ نفسك[٧].

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٣٤٦.

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤١٨، وتفسير الطبري ٢١/ ٤٢١، وتفسير البغوي ٤/ ٢٢٢.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٣٤٦.

(٤) بعدها في (ظ): وأقرب إليه، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٥/ ٣٤٦-٣٤٧، والكلام منه.

(٥) ينظر تفسير البغوي ٤/ ٢٢٢.

(٦) زاد المسير ٨/ ٩.

(٧) النكت والعيون ٥/ ٣٤٧.

وقال مجاهد: وكَّل الله بالإنسان ـ مع علمه بأحوالهِ ـ مَلَكين بالليل، ومَلَكين بالنهار يحفظانِ عمله، ويكتبان أثره إلزاماً للحجة؛ أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات، والآخر عن شماله يكتب السيئات، فذلك قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[١].

وقال سفيان: بلغني أنَّ كاتبَ الحسنات أمينٌ[٢] على كاتب السيئات، فإذا أذنب العبد[٣] قال: لا تعجل لعلَّه يستغفر الله.

وروي معناه من حديث أبي أمامة؛ قال: قال النبيُّ ﷺ: «كاتبُ الحسنات على يمين الرجل، وكاتبُ السيئات على يسار الرجل[٤]، وكاتبُ الحسنات أمينٌ على كاتب السيئات، فإذا عَمِلَ حسنةً؛ كتبها صاحبُ اليمين عشراً، وإذا عَمِلَ سيئةً، قال صاحبُ اليمين لصاحب الشمال: دَعْهُ سبعَ ساعاتٍ لعله يَسبِّح أو يستغفر»[٥].

وروي من حديث عليٍّ ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ مقعدَ مَلَكيك على ثَنِيَّتك، لسانُك قلمهما، وريقُك مِدَادُهما، وأنت تجري فيما لا يعنيك، فلا تستحي من الله ولا منهما»[٦].

وقال الضحاك: مجلسهما تحت الشعر[٧] على الحنك. ورواه عوف عن الحسن

---

(١) أخرجه الطبري بنحوه مختصراً ٢١/ ٤٢٥ .

(٢) في تفسير الطبري ٢١/ ٤٢٦ ـ والقول مخرجٌ فيه ـ: أمير.

(٣) قوله: العبد، من (ف) و(م).

(٤) في (م): على يساره.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧٩٧١). قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٠٨ : وفيه جعفر بن الزبير، وهو كذاب. اهـ. ورواه الطبراني في المعجم الكبير أيضاً (٧٧٦٥) بنحوه وضعفه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ٤/ ١٤٨-١٤٩ .

(٦) قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص١٥٩ الثعلبي من رواية جميل بن الحسن عن أرطأة بن الأشعث العدوي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مقعد ملكيك» فذكره. اهـ. وأرطاة بن أشعث؛ قال الذهبي في ميزان الاعتدال ١/ ١٧٠ : هالك.

(٧) في (م): الثغر.

قال: وكان الحسن يُعجبه أن ينظف عَنْفَقته[١].

وإنما قال: «قَعِيدٌ» ولم يقل: قعيدان، وهما اثنان؛ لأنَّ المراد عن اليمين قعيدٌ، وعن الشمال قعيد، فحذف الأوَّل لدلالة الثاني عليه. قاله سيبويه[٢]؛ ومنه قول الشاعر:

نحنُ بما عندنا وأنتَ بما ... عِندكَ راضٍ والرّأيُ مختلفُ[٣]

وقال الفرزدق:

إنِّي ضَمِنتُ لمن أتاني ما جنى ... وأَبَى فكان وكنتُ غيرَ غَدورِ[٤]

ولم يقل: راضيان ولا غدورين.

ومذهب المبرِّد: أنَّ الذي في التلاوة أوَّلٌ، أُخِّرَ اتِّساعاً، وحذف الثاني لدلالة الأوَّل عليه. ومذهب الأخفش والفرَّاء: أنَّ الذي في التلاوة يؤدِّي عن الاثنين والجمع، ولا حذف في الكلام[٥].

و«قَعِيدٌ» بمعنى قاعد، كالسميع والعليم والقدير والشهيد. وقيل: «قَعِيدٌ» بمعنى مُقَاعد، مثل أكيل ونديم بمعنى مُؤَاكل ومُنَادم[٦].

وقال الجوهريُّ: وفَعيلٌ وفَعولٌ؛ ممَّا يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦] وقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤][٧]. وقال الشاعر في الجمع، أنشده الثعلبي:

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٢٣ .

(٢) ينظر الكتاب ١/ ٧٥-٧٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٢٤ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨٣ .

(٣) البيت لقيس بن الخطيم كما نسبه سيبويه في الكتاب ١/ ٧٥ . وسلف ١٠/ ١٨٨ .

(٤) الكتاب ١/ ٧٦ ، ولم نقف عليه في ديوان الفرزدق.

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٩٦ ، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٧٧ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨٤ .

(٦) الكلام بنحوه في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤١٨ .

(٧) الصحاح (قعد).

أَلِكْنِي إليها وخيرُ الرَّسو لِ أعلَمُهُمْ بنواحي الخبرْ[١]

والمراد بالقعيد هاهنا: الملازمُ الثابت، لا ضدُّ القائم[٢].

قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي: ما يتكلَّم بشيءٍ إلَّا كُتب عليه؛ مأخوذٌ من لفظ الطعام، وهو إخراجُه من الفم.

وفي الرقيب ثلاثةُ أوجه: أحدها: أنَّه المتَّبعُ[٣] للأمور. الثاني: أنَّه الحافظ؛ قاله السُّدِّي. الثالث: أنَّه الشاهد؛ قاله الضَّحَّاك.

وفي العتيد وجهان: أحدهما: أنَّه الحاضرُ الذي لا يغيب. الثاني: أنَّه الحافظُ المُعَدُّ إمَّا للحفظ وإمَّا للشهادة[٤].

قال الجوهري[٥]: العتيدُ الشيء الحاضر المُهَيَّأ؛ وقد عَتَّدَه تعتيداً، وأعْتَدَه إعْتَاداً، أي: أعدَّه ليوم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا﴾ [يوسف: ٣١]، وفرسٌ عَتَدٌ وَعَتِدٌ؛ بفتح التاء وكسرها: المُعَدُّ للجري.

قلت: وكلُّه يرجع إلى معنى الحضور، ومنه قول الشاعر:

لئِن كُنتَ منِّي في العِيان مُغَيَّباً فذِكْرُكَ عندي في الفؤادِ عَتيدُ[٦]

قال أبو الجوزاء ومجاهد: يُكتبُ على الإنسان كلُّ شيءٍ حتى الأنينُ في مرضه[٧]. وقال عكرمة: لا يُكتب عليه[٨] إلَّا ما يُؤجر به أو يُؤزر عليه[٩]. وقيل:

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ١/ ١٤٦، وقوله: ألِكْني إليها، أي: كُنْ رسولي إليها. وسلف ١٦/ ١٥.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٢٢.

(٣) في (ف): المنيع، وفي النكت والعيون ـ والكلام منه ـ: المتتبع.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٣٤٧.

(٥) في الصحاح (عتد).

(٦) لم نقف عليه.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٠.

(٨) لفظة: عليه. ليست في (م).

(٩) تفسير البغوي ٤/ ٢٢٢.

يُكتب عليه كلُّ ما يتكلَّم به، فإذا كان آخر النهار مُحيَ عنه ما كان مباحاً، نحو: انطلِق، اقعد، كُلْ، مما لا يتعلَّق به أجرٌ ولا وِزر[١]، والله أعلم.

وروي عن أبي هريرة وأنس أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ما من حافظَين يرفعان إلى الله ما حفظا، فيرى اللهُ في أوَّل الصحيفة خيراً، وفي آخرها خيراً، إلَّا قال الله تعالى لملائكته: اشهدوا أنِّي قد غفرتُ لعبدي ما بين طَرَفي الصحيفة»[٢].

وقال عليٌّ ﷺ: إنَّ لله ملائكةً معهم صحفٌ بيض، فأَمْلُوا في أوَّلها وفي آخرها خيراً، يُغفر لكم ما بين ذلك[٣].

وأخرج أبو نعيم الحافظ قال: حدَّثنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة، قال: حدّثنا جَدِّي محمد بن إسحاق، قال: حدَّثنا محمد بن موسى الحَرَشيُّ، قال: حدَّثنا سهيل بن عبد الله، قال: سمعتُ الأعمشَ يحدِّث عن زيد بن وهب عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الحافظَين إذا نزلا على العبد أو الأمَة، معهما كتابٌ مختوم، فيكتبان ما يلفظ به العبدُ أو الأمة، فإذا أرادا أنْ ينهضا، قال أحدُهما للآخر: فُكَّ الكتاب المختومَ الذي معك، فيفكُّه له، فإذا فيه ما كتب سواء، فذلك قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾» غريبٌ من حديث الأعمش عن زيد، لم يروه عنه إلَّا سهيل[٤].

وروي من حديث أنس أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: «إنَّ الله وكَّل بعبده مَلَكين يكتبان عمله، فإذا مات قالا: ربنا قد مات فلانٌ، فأْذَنْ لنا أنْ نصعد إلى السماء، فيقولُ الله تعالى: إنَّ سماواتي مملوءةٌ من ملائكتي يسبِّحونني، فيقولان: ربنا نقيمُ في الأرض،

---

(١) ذكر نحو هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٦٠ عن الحسن وقتادة.

(٢) أخرجه عن أنس الترمذي (٩٨١). وفي إسناده تمام بن نجيح، وهو ضعيف. وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ٤٥: هذا حديثٌ لا يصح، قال ابن حبان: تمام يروي أشياء موضوعة عن الثقات، كأنه المتعمد لها.

(٣) ذكر نحوه الإمام السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٦. وعزاه للطبري.

(٤) حلية الأولياء ٤/ ١٧٣، ٥/ ٥٧.

فيقولُ الله تعالى: إنَّ أرضي مملوءةٌ من خلقي يسبِّحونني، فيقولان: ياربِّ، فأين نكون؟ فيقولُ الله تعالى: قوما[١] على قبر عبدي، فكبِّراني وهلِّلاني وسبِّحاني[٢]، واكتبا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة»[٣].

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: غمرتُه وشدَّتُه؛ فالإنسانُ مادام حيًّا تُكتَبُ عليه أقواله وأفعاله، ليُحاسَبَ عليها، ثم يجيئُهُ الموت، وهو ما يراه عند المعاينة من ظهور الحقِّ فيما كان الله تعالى وعدَه وأوعده. وقيل: الحقُّ هو الموت، سُمِّي حقًّا؛ إمَّا لاستحقاقه، وإمَّا لانتقاله إلى دار الحقّ، فعلى هذا يكون في الكلام تقديمٌ وتأخير، وتقديره: وجاءت سكرةُ الحقِّ بالموت[٤]، وكذلك في قراءة أبي بكر وابن مسعود رضي الله عنهما[٥]؛ لأنَّ السَّكرة هي الحقّ، فأُضيفتْ إلى نفسها لاختلاف اللفظين.

وقيل: يجوز أنْ يكون الحقُّ على هذه القراءة هو الله تعالى؛ أي: جاءت سكرةُ أمر الله تعالى بالموت. وقيل: الحقُّ هو الموتُ، والمعنى وجاءت سكرةُ الموت بالموت[٦]؛ ذكره المهدويُّ.

وقد زعم من طعن على القرآن فقال: أُخالفُ المصحفَ كما خالفه[٧] أبو بكر

---

(١) في (م): كونا.

(٢) في (ف) و(ق): واذكراني، وفي (ظ): وسبحاني واذكراني.

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥٠٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٩٣١). وفي إسناده عثمان بن مطر. قال ابن الجوزي في الموضوعات ٤/ ٩٧ : وهذا لا يصح، وقد اتفقوا على تضعيف عثمان بن مطر، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الإثبات، لا يحلُّ الاحتجاج به.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٣٤٧-٣٤٨ .

(٥) القراءات الشاذة ص١٤٤ ، والمحتسب ٢/ ٢٨٣ عن أبي بكر ﷺ، وهي عن ابن مسعود في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢٥ ، والنكت والعيون ٥/ ٣٤٨ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢٥ .

(٧) في (م): خالف.

الصدِّيقُ، فقرأ: وجاءت سكرة الحقِّ بالموت. فاحتجَّ عليه بأنَّ أبا بكر رُويت عنه روايتان: إحداهما موافقةٌ للمصحف، فعليها العمل، والأخرى مرفوضةٌ، تجري مَجرى النسيان منه إنْ كان قالها، أو الغلط من بعض من نَقَل الحديث.

قال أبو بكر الأنباريّ: حدَّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدَّثنا علي بن عبد الله، حدَّثنا جرير، عن منصور، عن أبي وائل، عن مسروق قال: لما احتُضِرَ أبو بكرٍ أرسلَ إلى عائشةَ، فلما دخلتْ عليه قالت: هذا كما قال الشاعر:

إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاقَ بها الصَّدْرُ[1]

فقال لها أبو بكر: هلَّا قُلتِ كما قال الله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ وذكر الحديث[2]. والسَّكْرة واحدة السَّكَرات.

وفي الصحيح عن عائشة أنَّ رسول الله ﷺ كانت بين يديه رَكوةٌ ـ أو عُلْبةٌ ـ فيها ماء، فجعل يُدخل يديه في الماء، فيمسحُ بهما وجهه ويقول: «لا إله إلَّا الله، إنَّ للموت سكرات». ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى» حتى قُبض ومالتْ يده. خرَّجه البخاري[3].

ورُوي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ العبدَ الصالح لَيُعالجُ الموتَ وسكراته، وإنَّ مفاصله لَيُسلِّمُ بعضُها على بعض، تقول: السَّلامُ عليك، تفارقني وأفارقُك إلى يوم القيامة»[4].

---

(١) هو عجز بيت لحاتم الطائي، وهو في ديوانه ص٥٠ ، وفيه: النفس. بدل: يوماً. وصدره: أماويَّ ما يغني الثراء عن الفتى

والحشرجة: هي الغرغرة عند الموت وتردد النفَس. الصحاح (حشرج).

(٢) وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣/ ١٩٥ ، وأحمد في الزهد ص١٣٦ من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله البهي مولى الزبير عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) في صحيحه (٤٤٤٩)، وسلف ٧/ ٤٠٨ .

(٤) لم نقف عليه.

وقال عيسى ابن مريم: يا معشر الحواريين، ادعوا الله أن يهوِّن عليكم هذه السَّكْرة. يعني: سَكَرات الموت.

وروي: إنَّ الموتَ أشدُّ مَن ضربٍ بالسيوف، ونشرٍ بالمناشير، وقرضٍ بالمقاريض[١].

﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: يقال لمن جاءته سكرةُ الموت: ذلك ما كنتَ تفرُّ منه، وتميلُ عنه. يقال: حادَ عن الشيء يَحيدُ حُيُوداً وحَيْدَة وحَيْدُودَةً: مال عنه وعَدَل، وأصلُه: حَيَدَودة بتحريك الياء فسكنت؛ لأنَّه ليس في الكلام فَعْلُولٌ غير صَعْفُوق[٢]. وتقولُ في الإخبار عن نفسك: حِدْتُ عن الشيء أَحِيد حَيْداً ومَحِيداً: إذا ملتَ عنه[٣]؛ قال طَرَفة:

أبا منذِرٍ رُمْتَ الوفاءَ فَهِبتَهُ وحِدْتَ كما حادَ البعيرُ عن الدَّحْضِ[٤]

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ هي النفخةُ الآخرة للبعث ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾: الذي وعده الله للكفار أنْ يعذِّبهم فيه. وقد مضى الكلام في النفخ في الصور مستوفًى. والحمد لله[٥].

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ اختُلِف في السائق والشهيد؛ فقال ابن عباس: السائقُ من الملائكة، والشهيدُ من نفسه. وقال الضَّحَّاك: السائقُ من

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢/ ٤١٦ من قول شداد بن أوس.

(٢) الصحاح (حيد)، والصَّعفُوق اللئيم.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٢٣.

(٤) سلف ١٣/ ٣١٢.

(٥) ٨/ ٤٣٠-٤٣١.

الملائكة، والشهيدُ[١] من أنفسهم؛ الأيدي والأرجل[٢]؛ رواه العوفيُّ عن ابن عباس[٣].

وقال أبو هريرة: السائقُ: الملَك، والشهيدُ: العمل[٤].

وقال الحسن وقتادة: المعنى: سائقٌ يسوقها، وشاهدٌ يشهدُ عليها بعملها[٥].

وقال ابنُ مسلم: السائقُ قرينها من الشياطين؛ سُمِّي سائقاً؛ لأنَّه يتبُعها وإنْ لم يحثَّها[٦].

وقال مجاهد: السائقُ والشهيدُ ملَكان[٧].

وعن عثمان بن عفان ﷺ أنَّه قال وهو على المنبر: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾؛ سائقٌ: مَلَكٌ يسوقُها إلى أمر الله، وشهيدٌ: ملكٌ[٨] يشهدُ عليها بعملها[٩].

قلت: هذا أصحُّ؛ فإنَّ في حديث جابر بن عبد الله قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ ابنَ آدم لفي غفلة ممَّا[١٠] خلقَه الله عزَّ وجلَّ له، إنَّ الله لا إله غيرُه إذا أراد خَلْقَهُ قال للملَك: اكتبْ رزقَه وأثرَه وأجلَه، واكتب[١١] شقيًّا أو سعيداً، ثم يرتفعُ ذلك المَلَك، ويَبعثُ الله ملكا آخر فيحفظه حتى يُدْرِك، ثم يبعث الله ملكين يكتبان

---

(١) من قوله: من نفسه. إلى هذا الموضع ساقط من (م).

(٢) أخرج القولين الطبريُّ ٢١/ ٤٣٠-٤٣١ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٢٣ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٦١ .

(٥) أخرج قولهما الطبري ٢١/ ٤٣٠-٤٣١ .

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٣ دون نسبة.

(٧) تفسير مجاهد ٢/ ٦١١ ، وأخرجه الطبري ٢١/ ٤٣٠ .

(٨) لفظة: ملك. ليست في (م).

(٩) أخرجه الطبري ٢١/ ٤٢٩ .

(١٠) في (م): عما.

(١١) في (م): واكتبه.

حسناتِه وسيئاتِه، فإذا جاءه الموتُ ارتفعَ ذلك الملَكان، ثم جاءَه[١] ملك الموت عليه السلام فيقبِضُ روحَه، فإذا أُدْخِل حفرتَه ردَّ الروح في جسده، ثم يرتفعُ ملك الموت، ثم جاءه ملَكا القبر فامتحناه، ثم يرتفعان، فإذا قامت الساعة انحطَّ عليه ملَك الحسنات وملَك السيئات، فأنشطا كتاباً معقوداً في عنقه، ثم حضرا معه، واحد سائقٌ، والآخر شهيد، ثم قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾. قال رسول الله ﷺ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] قال: «حالاً بعد حال»، ثم قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ قُدَّامكم أمراً عظيماً، فاستعينوا بالله العظيم».

خرَّجه أبو نعيم الحافظ من حديث [أبي] جعفر محمد[٢] بن علي، عن جابر. وقال فيه هذا حديثٌ غريبٌ من حديث [أبي] جعفر، وحديثُ جابرٍ تفرَّد به عنه جابر الْجُعفيُّ وعنه المفضَّل[٣].

ثم في الآية قولان: أحدُهما: أنَّها عامةٌ في المسلم والكافر؛ وهو قول الجمهور. الثاني: أنَّها خاصةٌ في الكافر؛ قاله الضحاك[٤].

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ قال ابنُ زيد: المراد به النبيُّ ﷺ؛ أي: لقد كنتَ يا محمدُ في غفلةٍ من الرسالة في قريش في جاهليتهم[٥].

وقال ابن عباس والضحاك: إنَّ المرادَ به المشركون، أي: كانوا في غفلةٍ من عواقب أمورهم[٦]. وقال أكثر المفسرين: إنَّ المرادَ به البرُّ والفاجر. وهو

---

(١) في (م): جاء.

(٢) في النسخ: من حديث جعفر بن محمد بن علي. وهو خطأ، والمثبت من المصادر.

(٣) حلية الأولياء ٣/ ١٩٠، وأخرجه أيضاً أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٣٦١ والدر المنثور ٦/ ١٠٦.
قال ابن كثير: هذا حديث منكر، وإسناده فيه ضعفاء، ولكن معناه صحيح.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٣٤٩.

(٥) أخرجه الطبري ٢١/ ٤٣٤، وضعَّفه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٦٢.

(٦) أخرجه عن ابن عباس الطبريُّ ٢١/ ٤٣٤.

اختيار الطبري[١].

وقيل: أي لقد كنتَ أيُّها الإنسان في غفلةٍ عن أنَّ كلَّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيد؛ لأنَّ هذا لا يُعرف إلا بالنصوص الإلهية[٢].

﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ أي: عَمَاك؛ وفيه أربعة أوجه: أحدها: إذا كان في بطن أمه فوُلد؛ قاله السدِّيّ. الثاني: إذا كان في القبر فنُشر. وهذا معنى قول ابن عباس. الثالث: وقت العَرْض في القيامة؛ قاله مجاهد. الرابع: أنه نزول الوحي وتحمُّل الرسالة. وهذا معنى قول ابن زيد[٣].

﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ قيل: يراد به بصرُ القلب، كما يقال: هو بصيرٌ بالفقه؛ فبصرُ القلب وبصيرته تبصرتُه شواهدَ الأفكار ونتائج الاعتبار، كما تُبصر العين ما قابلها من الأشخاص والأجسام. وقيل: المراد به بصرُ العين وهو الظاهر[٤]، أي: بصر عينك اليوم حديد، أي: قويٌّ نافذٌ يرى ما كان محجوباً عنك.

قال مجاهد: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ يعني: نظرك إلى لسان ميزانك حين توزن سيئاتك وحسناتك[٥]. وقاله الضَّحَّاك.

وقيل: يعاينُ ما يصيرُ إليه من ثواب وعقاب. وهو معنى قول ابن عباس[٦]. وقيل: يعني أنَّ الكافر يُحشر وبصره حديد، ثم يزرقُّ ويَعْمَى. وقُرِئ: «لَقَدْ كُنْتِ»، «عَنْكِ»، «فَبَصَرُكِ»؛ بالكسر على خطاب النفس[٧].

---

(١) في تفسيره ٢١/ ٤٣٣ . واختاره أيضاً ابن عطية في المحرر ٥/ ١٦٢ .

(٢) النكت والعيون ٥/ ٣٤٩ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٢٣ ، وزاد المسير ٨/ ١٤ .

(٦) النكت والعيون ٥/ ٣٥٠ .

(٧) القراءات الشاذة ص١٤٤ .

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ يعني: الملَك الموكَّل به في قول الحسن وقتادة والضَّحَّاك[١]. ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ أي: هذا ما عندي من كتابة[٢] عمله مُعَدٌّ محفوظ. وقال مجاهد: يقول: هذا الذي وكَّلتني به من بني آدم قد أحضرتُه، وأحضرتُ ديوان عمله[٣]. وقيل: المعنى: هذا ما عندي من العذاب حاضر.

وعن مجاهد أيضاً: قرينه الذي قُيِّض له من الشياطين[٤]. وقال ابنُ زيد في رواية ابن وهب عنه: إنَّه قرينُه من الإنس[٥].

فيقول الله تعالى لقرينه: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ قال الخليلُ والأخفش: هذا كلامُ العرب الصحيح[٦]؛ أنْ تُخاطب الواحد بلفظ الاثنين فتقول: ويلك ارحَلاها وازجُراها، وخُذاه وأطلقاه؛ للواحد.

قال الفرَّاء[٧]: تقول للواحد: قُوما عنَّا، وأصلُ ذلك أنَّ أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه ورفقته في سفره اثنان، فجرى كلامُ الرجل على صاحبيه، ومنه قولُهم للواحد في الشعر: خليليَّ[٨]، ثم يقول: يا صاح. قال امرؤ القيس:

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٣٥٠ دون ذكر الضحاك.

(٢) في (ظ): كتاب.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٢٣ .

(٤) تفسير مجاهد ٢/ ٦١١ .

(٥) النكت والعيون ٥/ ٣٥٠ .

(٦) في (م): الفصيح.

(٧) في معاني القرآن ٣/ ٧٨ .

(٨) الكلام بنحوه في تفسير البغوي ٤/ ٢٢٣-٢٢٤ .

خَلِيلَيَّ مُرَّا بي على أُمِّ جُنْدَبٍ نُقَضِّ لُبَانَاتِ الفؤادِ المُعَذَّبِ[١]

وقال أيضاً:

قِفَا نَبْكِ مِن ذِكْرى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسَقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ[٢]

وقال آخر:

فإنْ تَزْجُراني يا ابنَ عَفَّانَ أنْزَجِرْ وإنْ تَدَعاني[٣] أحْمِ عِرْضًا مُمنَّعَا[٤]

وقيل: جاء كذلك؛ لأنَّ القرين يقع للجماعة والاثنين. وقال المازنيُّ: قوله: «ألْقِيَا» يدلُّ على أَلْقِ أَلْقِ[٥].

وقال المبرد: هي تثنيةٌ على التوكيد، المعنى: أَلْقِ أَلْقِ، فناب «أَلْقِيَا» مناب التكرار[٦].

ويجوز أن يكون «ألْقِيَا» تثنيةً على خطاب الحقيقة من قول الله تعالى يخاطبُ به الملَكين. وقيل: هو مخاطبةٌ للسائق والحافظ[٧].

وقيل: إنَّ الأصل: أَلْقِينْ؛ بالنون الخفيفة؛ تُقلب في الوقف ألفاً؛ فَحُمِل الوصلُ على الوقف[٨]. وقرأ الحسنُ: «أَلْقِيَنْ» بالنون الخفيفة[٩]، نحو قوله: ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢] وقوله: ﴿لَنَسْفَعًۢا﴾ [العلق: ١٥].

﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي: معاند؛ قاله مجاهد وعكرمة[١٠]. وقال بعضهم: العنيدُ:

---

(١) ديوان امرئ القيس ص٤١ . واللبانات. جمع لُبانة، وهي الحاجة.

(٢) ديوان امرئ القيس ص٨ ، وسلف ١٠/ ٣٦٤ .

(٣) في النسخ الخطية: تدعواني، والمثبت من المصادر.

(٤) البيت في معاني القرآن للفراء ٣/ ٧٨ ، وتفسير الطبري ٢١/ ٤٣٧ .

(٥) الكلام بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢٨ ، وينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨٤ .

(٦) ينظر الكشاف ٤/ ٨ ، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٣ .

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٣ ، والقول الأخير اختاره الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٤٥ .

(٨) الكشاف للزمخشري ٤/ ٨ .

(٩) المحتسب ٢/ ٢٨٤ .

(١٠) ينظر تفسير البغوي ٤/ ٢٢٤ .

المعرض عن الحق. يقال: عَنَد يَعنِد ـ بالكسر ـ عُنُوداً، أي: خالف وردَّ الحقَّ وهو يعرفه، فهو عَنِيد وعانِد، وجمع العَنِيد عُنُد[١]، مثل: رغِيف ورُغُف.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ يعني: الزكاة المفروضة، وكلَّ حقٍّ واجب[٢].

﴿مُّعْتَدٍ﴾ في منطقه وسيرته وأمره، ظالم، ﴿مُّرِيبٍ﴾: شاكٌّ في التوحيد؛ قاله الحسن وقتادة[٣]. يقال: أراب الرجلُ فهو مُرِيب: إذا جاء بالريبة[٤]؛ وهو المشرك[٥]. يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾.

وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة. وأراد بقوله: «مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ» أنَّه كان يمنعُ بني أخيه من الإسلام[٦].

﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ تأكيدٌ للأمر الأول.

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ يعني: الشيطان الذي قُيِّضَ لهذا الكافر العنيد؛ تبرَّأ منه وكذَّبه.

﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ عن الحقِّ وكان طاغياً باختياره، وإنما دعوتُهُ فاستجابَ لي. وقرينُه هنا هو شيطانُه بغير اختلاف. حكاه المهدويُّ.

وحكى الثعلبيُّ: قال ابنُ عباس ومقاتل: قرينُه المَلَك؛ وذلك أنَّ الوليدَ بن المغيرة يقول للملَك الذي كان يكتب سيئاته: ربِّ إنَّه أعجلني، فيقول الملَك: ربَّنا ما أطغيتُه، أي: ما أعجلتُه. وقال سعيد بن جبير: يقول الكافر: ربِّ إنَّه زاد عليَّ في الكتابة، فيقول الملَك: ربَّنا ما أطغيتُه، أي: ما زدتُ عليه في الكتابة؛ فحينئذٍ يقولُ

---

(١) الصحاح (عند).

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٢٤ .

(٣) أخرجه عن قتادة الطبري ٢١/ ٤٣٩ .

(٤) الصحاح (ريب).

(٥) في (ظ): وهذا للمشرك، وفي (ق): وهذا المشرك.

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٥٢ ، ونسبه للضحاك.

الله تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ يعني: الكافرين وقرناءهم من الشياطين[١]. قال القشيريّ: وهذا يدلُّ على أنَّ القرينَ الشيطان.

﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ أي: أرسلتُ الرسل. وقيل: هذا خطابٌ لكلِّ من اختصم. وقيل: هو للاثنين، وجاء بلفظ الجمع.

﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ قيل: هو قوله: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقيل: هو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]. وقال الفرَّاء[٢]. ما يكذَّب عندي، أي: ما يُزَاد في القول ولا يُنْقَص؛ لعلمي بالغيب.

﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي: ما أنا بمعذِّبٍ من لم يُجرم؛ قاله ابنُ عباس[٣]. وقد مضى القولُ في معناه في «الحج» وغيرها[٤].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ قرأ نافع وأبو بكر: «يَوْمَ يَقُولُ» بالياء اعتباراً بقوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾. الباقون بالنون على الخطاب من الله تعالى[٥]، وهي نون التعظيم[٦]. وقرأ الحسن: «يَوْمَ أَقُولُ». وعن ابن مسعود

---

(١) ينظر تفسير البغوي ٤/ ٢٢٤ .

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٧٩ .

(٣) النكت والعيون ٥/ ٣٥٢ .

(٤) ١٤/ ٣٢٩ ، وعند تفسير الآية ٤٦ من سورة فصلت.

(٥) السبعة ص٦٠٧ ، والتيسير ص٢٠٢ .

(٦) في (م): العظمة.

وغيره: «يَوْمَ يُقَالُ»[١]. وانتصب «يَوْم» على معنى: ما يبدَّل القولُ لديَّ يومَ. وقيل: بفعلٍ مقدَّرٍ معناه: وأنذرهم يومَ نَقُولُ لِجهنَّمَ هل امتلأْتِ[٢]، لِما سبقَ من وعده إيَّاها أنَّه يملؤها. وهذا الاستفهام على سبيل التصديق لخبره، والتحقيق لوعده[٣]، والتقريع لأعدائه، والتنبيه لجميع عباده.

«وتَقُولُ» جهنم: «هَلْ مِنْ مَزِيدٍ» أي: ما بقي فيَّ موضعٌ للزيادة؛ كقوله عليه الصلاة والسلام: «هل تَرَكَ لنا عَقِيلٌ من رَبْع أو منزل»[٤] أي: ما ترك؛ فمعنى الكلام: الجحد. ويحتمل أن يكون استفهاماً بمعنى الاستزادة[٥]؛ أي: هل من مزيد فأُزاد[٦]؟ وإنَّما صَلَح هذا للوجهين[٧]؛ لأنَّ في الاستفهام ضرباً من الجَحد.

وقيل: ليس ثَمَّ قولٌ، وإنَّما هو على طريق المثل، أي: إنَّها فيما يَظهرُ من حالها، بمنزلة الناطقة بذلك؛ كما قال الشاعر:

امتلأَ الحوضُ وقال قَطني مَهْلاً رويداً قد ملأتَ بطني[٨]

وهذا تفسيرُ مجاهد وغيره؛ أي: هل فيَّ من مسلك، قد امتلأت[٩]. وقيل: يُنطِقُ الله النار حتى تقول هذا؛ كما تنطق الجوارح. وهذا أصحُّ على ما بيَّنَّاه في سورة الفرقان[١٠].

---

(١) قراءة ابن مسعود في المحتسب ٢/ ٢٨٤ ، وزاد نسبتها فيه للأعمش والحسن.

(٢) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٤٦ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٢٤ .

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٥٨) من حديث أسامة بن زيد ﷺ، وعقيل هو ابن أبي طالب.

(٥) ينظر تفسير البغوي ٤/ ٢٢٤ ، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٥ .

(٦) في (م) فأزداد.

(٧) في (ظ) هذين الوجهين.

(٨) البيت في الصحاح (قطط)، وسلف ٢/ ٢٥٥ .

(٩) تفسير مجاهد ٢/ ٦١٢ .

(١٠) ١٥/ ٣٧٨ .

وفي صحيح البخاري ومسلم والترمذي[١] عن أنس بن مالك، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضعَ ربُّ العزة فيها قَدَمه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قَطْ قَطْ[٢]، بعزَّتك وكرمك. ولا يزال في الجنة فَضلٌ، حتى يُنشئَ الله لها خَلقاً، فيُسكِنَهُم فَضْلَ الجنة» لفظ مسلم.

وفي رواية أخرى من حديث أبي هريرة: «وأمَّا النَّار فلا تمتلئ حتى يضعَ الله عليها رِجْله تقول[٣]: قَطْ قَطْ. فهنالَك تمتلئ. ويُزوى[٤] بعضُها إلى بعض، فلا يظلمُ الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإنَّ الله ينشئُ لها خلقاً»[٥].

قال علماؤنا رحمهم الله: أما معنى القدم هنا[٦]: قومٌ يقدِّمهم الله إلى النار، قد سبق في علمه أنَّهم من أهل النار. وكذلك الرِّجْل؛ وهو العددُ الكثير من الناس وغيرهم؛ يقال: رأيتُ رِجْلاً من النَّاس، ورِجْلاً من جَراد[٧]، قال الشاعر:

فمرَّ بنا رِجْلٌ من النَّاس وانْزَوَى ... إليهم من الحيِّ اليمانينَ أرْجُلُ

قبائلُ من لَخْمٍ وعُكْلٍ وحِمْيَرٍ ... على ابْنَيْ نِزارٍ بالعَدَاوة أحْفَلُ[٨]

ويبَيِّنُ هذا المعنى ما روي عن ابن مسعود أنَّه قال: ما في النار بيتٌ، ولا

---

(١) صحيح البخاري (٧٣٨٤)، وصحيح مسلم (٢٨٤٨): (٣٨)، وسنن الترمذي (٣٢٧٢)، وهو عند أحمد (١٣٤٥٧)، وسلف عند تفسير الآيتين (٤٩ - ٥٠) من سورة الشورى.

(٢) قط بمعنى حسب، فهي مبنيةٌ على السكون، وقد تكسر، وتلحقها نون الوقاية إذا أضيفت، وتقال: بالدال، ويصحُّ فيها ما يصحُّ في الطاء. المفهم ٧/ ١٩٦ .

(٣) في (م) و(ظ): يقول لها، والمثبت من (ف) و(ق) وهو الموافق للمصادر.

(٤) في (م) و(ظ) وينزوي.

(٥) أخرجه أحمد (٨١٦٤)، والبخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦): (٣٦). وفي البخاري ومسلم تكرار لفظة: قط. ثلاث مرات.

(٦) بعدها في (م) لفظة: فهم.

(٧) ينظر مشكل الحديث لابن فورك ص١٢٦ ، ١٣٠ .

(٨) ذكر البيت الأول منهما ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٦٦ .

سلسلةٌ، ولا مِقمَع، ولا تابوت، إلا وعليه اسمُ صاحبه، فكلُّ واحدٍ من الخزنة ينتظرُ صاحبَه الذي قد عرفَ اسمه وصفته، فإذا استوفى كلُّ واحدٍ منهم ما أُمر[١] به وما ينتظره، ولم يبقَ منهم أحد، قال الخَزَنةُ: قَطْ قَطْ، حسبُنا حسبُنا، أي: اكتفينا اكتفينا، وحينئذٍ تنزوي جهنمُ على من فيها وتنطبق، إذ لم يبق أحدٌ ينتظر. فعبَّر عن ذلك الجمع المنتظر بالرِّجل والقَدَم؛ ويشهدُ لهذا التأويل قولُه في نفس الحديث[٢]: «ولا يزالُ في الجنَّة فضلٌ حتى ينشئَ اللهُ لها خلقاً، فيسكنَهم فضل الجنة».

وقد زدنا هذا المعنى بياناً ومهَّدناه في كتاب الأسماء والصفات من الكتاب الأسنى، والحمدُ لله.

وقال النضرُ بن شُمَيل في معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «حتى يَضَع الجبَّار فيها قَدمَهُ» أي: مَن سَبَقَ في علمه أنَّه من أهل النار.

قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي: قُرِّبت منهم. وقيل: هذا قبلَ الدخول في الدنيا؛ أي: قُرِّبت من قلوبهم، حين قيل لهم: اجتنبوا المعاصي. وقيل: بعد الدخول؛ قُرِّبتْ لهم مواضعُهم فيها فلا تبعد. «غَيْرَ بَعِيدٍ» أي: منهم، وهذا تأكيد.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ أي: ويُقال لهم: هذا الجزاء الذي وُعِدتم في الدنيا على ألسنة الرسل.

وقراءة العامة: «تُوعَدُونَ»، بالتاء على الخطاب. وقرأ ابنُ كثير بالياء على الخبر[٣]؛ لأنَّه أتى بعد ذكر المتقين.

﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ أوَّاب، أي: رَجَّاع إلى الله عن المعاصي، يذنب[٤] ثم يرجع، ويذنب ثم يرجع، هكذا قاله الضَّحَّاكُ وغيره. وقال ابنُ عباس وعطاء:

---

(١) في (ظ): فإذا استوفى ما أمر، وفي (ف) و(ق): فإذا استوفى منهم ما أمر. والمثبت من (م)، وهو الموافق للمفهم ٧/ ١٩٥-١٩٦ . والكلام منه.

(٢) يعني حديثَ أنس ﷺ السالف قريباً.

(٣) التيسير ص٢٠٢ .

(٤) قوله: يذنب. ليس في (م).

الأوَّابُ المسبِّح؛ من قوله: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾[١] [سبأ: ١٠]. وقال الحَكَم بن عُتيبة: هو الذاكرُ لله تعالى في الخلوة. وقال الشعبيُّ ومجاهد: هو الذي يذكر ذنوبَه في الخلوة، فيستغفر الله منها[٢]. وهو قول ابن مسعود. وقال عُبيد بن عُمير: هو الذي لا يجلس مجلساً حتى يستغفر الله تعالى فيه[٣]. وعنه قال: كنا نحدَّث أنَّ الأوَّاب الحفيظ الذي إذا قام من مجلسه قال: سبحان الله وبحمده، اللهم إني أستغفرك مما أصبتُ في مجلسي هذا[٤].

وفي الحديث: «من قال إذا قام من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، غفر الله له ما كان في ذلك المجلس»[٥]. وهكذا كان النبيُّ ﷺ يقول.

وقال بعض العلماء: أنا أُحبُّ أن أقول: أستغفرك وأسألك التوبة، ولا أحبُّ أنْ أقول: وأتوبُ إليك، إلا على حقيقته.

قلت: هذا استحسان، واتِّباعُ الحديث أولى.

وقال أبو بكر الورَّاق: هو المتوكِّل على الله في السرَّاء والضرَّاء. وقال القاسم: هو الذي لا يَشتغلُ إلَّا بالله عزَّ وجلَّ.

﴿حَفِيظٌ﴾ قال ابن عباس: هو الذي حفظ ذنوبه حتى رجع[٦] عنها. وقال قتادة: حفيظٌ لِمَا استودَعه الله من حقِّه ونعمته وأُتَمنه عليه[٧].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٦ ، وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٢١/ ٤٥٠ .

(٢) أخرج أقوالهم الطبري ٢١/ ٤٥٠-٤٥١.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٣٥٣ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٦ .

(٥) أخرجه أحمد (١٠٤١٥)، والترمذي (٣٤٣٣)، والنسائي في الكبرى (١٠١٥٧) من حديث أبي هريرة. وسيرد ص٥٤٢ من هذا الجزء.

(٦) في (م): يرجع.

(٧) تفسير الطبري ٢١/ ٤٥٢ .

وعن ابن عباس أيضاً: هو الحافظُ لأمر الله[١].

مجاهد: هو الحافظ لِحقِّ الله تعالى بالاعتراف، ولنعمه بالشكر.

قال الضَّحَّاك: هو الحافظُ لوصيَّة الله تعالى بالقبول.

وروى مكحولٌ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من حافظ على أربعِ ركعاتٍ من أوَّل النهار، كان أوَّاباً حفيظاً» ذكره الماوردي[٢].

قوله تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ «مَنْ» في محل خفضٍ على البدل من قوله: «لِكُلِّ أوَّابٍ»، أو في موضع الصفة لـ «أوّابٍ». ويجوزُ الرفع على الاستئناف، والخبر «ادْخُلُوها» على تقدير حذف جواب الشرط، والتقدير فيقال لهم: «ادْخُلُوهَا»[٣]. والخشية بالغيب أن تخافه ولم تره. وقال الضحاك والسُّدِّي: يعني في الخلوة حين لا يراه أحد. وقال الحسن: إذا أرخى السترَ وأغلق الباب[٤].

﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾: مقبلٍ على الطاعة. وقيل: مخلص. وقال أبو بكر الورَّاق: علامةُ المنيب أنْ يكون عارفاً لحرمته، موالياً له، متواضعاً لجلاله، تاركاً لهوى نفسه.

قلت: ويحتمل أنْ يكون القلبُ المنيبُ القلبَ السليم؛ كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩] على ما تقدَّم؛ والله أعلم.

﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ أي: يقال لأهل هذه الصفات: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ أي: بسلامةٍ من العذاب. وقيل: بسلامٍ من الله وملائكته عليهم. وقيل: بسلامةٍ من زوال النِّعم[٥].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٢٢٥.

(٢) في النكت والعيون ٥/ ٣٥٣-٣٥٤، ومكحول لم يسمع من أبي هريرة كما ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب ٤/ ١٤٩ عن البزار.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٣٠-٢٣١، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٨٥.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٢٥.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٢٢٥.

وقال: «ادْخُلُوهَا» وفي أوَّل الكلام: «مَنْ خَشِيَ»؛ لأنَّ «مَنْ» تكون بمعنى الجمع.

قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ يعني: ما تشتهي[١] أنفسهم وتلذُّ أعينهم. ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ من النعم ممَّا لم يخطر على بالهم. وقال أنس وجابر: المزيدُ: النظر إلى وجه الله تعالى بلا كيف[٢].

وقد ورد ذلك في أخبار مرفوعةٍ إلى النبيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: «الزيادةُ النظر إلى وجه الله الكريم»[٣].

وذكر ابن المبارك ويحيى بن سلام قالا: أخبرنا المسعوديُّ، عن المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود قال: تسارعوا إلى الجمعة، فإنَّ الله تبارك وتعالى يَبرزُ لأهل الجنَّة كلَّ يوم جمعة، في كثيبٍ من كافور أبيض، فيكونون منه في القرب. قال ابنُ المبارك: على قدر تسارعهم إلى الجمعة في الدنيا. وقال يحيى بن سلام: كمسارعتهم[٤] إلى الجمعة[٥] في الدنيا، وزاد: «فيحدثُ الله لهم من الكرامة شيئاً لم يكونوا رأوه قبل ذلك»[٦].

قال يحيى: وسمعت غيرَ المسعودي يزيد فيه: وهو[٧] قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

---

(١) في (م) و(ف) و(ق): تشتهيه. والمثبت من (ظ) والنكت والعيون ٥/ ٣٥٤. والكلام منه.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٦.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ ابن عدي في الكامل ٣/ ١١٧٣، وفيه سَلْم بن سالم البلخي، وهو ضعيف، ونوح ابن أبي مريم، وهو كذاب. ويغني عنه حديث صهيب ﷺ عند مسلم (١٨١): «إذا دخل أهل الجنة الجنة...» وفي آخره: «فيكشف الحجاب. فما أُعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل» وسلف الحديثان ١٠/ ٤٨٢-٤٨٣.

(٤) في (م) و(ق): لمسارعتهم. ولم تجود في (ف).

(٥) في النسخ عدا (ق): الجمع.

(٦) هو عند ابن المبارك في الزهد (٤٣٦ ـ زوائد نعيم). وأخرجه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير (٩١٦٩) وأبو نعيم في صفة الجنة (٣٩٦) من قول عبد الله بن عتبة. قال ابن فورك في مشكل الحديث: تفرد به المنهال بن عمرو وهو ضعيف. اهـ. قلنا والمسعودي اختلط بأخرة. الميزان ٢/ ٥٧٤.

(٧) لفظة: وهو. ليست في (ف) و(م).

قلت: قوله: «في كَثِيب» يريدُ أهلَ الجنَّة، أي: وهُم على كثيب؛ كما في مرسل الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أهلَ الجنة ينظرون إلى ربِّهم في كلِّ يوم جمعة، على كَثِيبٍ من كافور» الحديث. وقد ذكرناه في كتاب «التذكرة»[١].

وقيل: إنَّ المزيدَ ما يزوَّجون به من الحور العين؛ رواه أبو سعيد الخدريّ مرفوعاً[٢].

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: كم أهلكنا يا محمد قبل قومك من أمَّةٍ هم أشدُّ منهم بطشاً وقوَّة. ﴿فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ أي: ساروا فيها طلباً للمهرب[٣]. وقيل: أثَّروا في البلاد؛ قاله ابنُ عباس. وقال مجاهد: ضربوا وطافوا[٤]. وقال النضر ابن شميل: دَوَّروا.

وقال قتادة: طَوَّفوا[٥]. وقال المؤرِّج: تباعدوا؛ ومنه قول امرئ القيس[٦]:

وقد نَقَّبْتُ في الآفاق حَتَّى رَضِيتُ من الغنيمةِ بالإيابِ

ثم قيل: طافوا في أقاصي البلاد طلباً للتجارات، وهل وجدوا من الموت محيصاً؟ وقيل: طوَّفوا في البلاد يلتمسون مَحيصاً من الموت. قال الحارث بن حِلِّزة:

---

(١) ص٤٩٧-٤٩٨.

(٢) وأخرجه أحمد (١١٧١٥) مطولاً.

(٣) الصحاح (نقب).

(٤) أخرج قولي ابن عباس ومجاهد الطبريُّ ٢١/ ٤٦٠.

(٥) ينظر النكت والعيون ٥/ ٣٥٥.

(٦) ديوانه ص٩٩، وسلف ٥/ ٥٧.

نَـقَّـبـوا فـي الـبـلاد مـن حَـذَرِ الـمـو ت وجـالـوا فـي الأرض كُـلَّ مـجـالِ[١]

وقرأ الحسنُ وأبو العالية: «فَنَقَبُوا» بفتح القاف وتخفيفها[٢]. والنَّقْب: هو الخرقُ والدخول في الشيء. وقيل: النقْبُ الطريقُ في الجبل، وكذلك المَنْقَبُ والمَنْقَبة؛ عن ابن السكِّيت. ونَقَبَ الجدارَ نَقْباً، واسم تلك النَّقْبة نَقْبٌ أيضاً[٣]، وجمع النَّقْب النُّقُوب، أي: خرقوا البلاد وساروا في نُقوبها. وقيل: أَثَّروا فيها كتأثير الحديد فيما ينقُب.

وقرأ السُّلَميُّ ويحيى بن يَعْمَر: «فَنَقِّبُوا» بكسر القاف والتشديد على الأمر[٤]؛ للتهديد[٥] والوعيد، أي: طَوِّفوا البلادَ وسيروا فيها فانظروا هَل مِن الموت مَحِيصٌ أو مهرب؟[٦] ذكره الثعلبي.

وحكى القشيريُّ: «فَنَقِبُوا» بكسر القاف مع التخفيف[٧]، أي: أَكثَروا السيرَ فيها، حتى نَقِبت دوابُّهم.

الجوهريّ: ونَقِب البعيرُ بالكسر: إذا رَقَّتْ أخفافُه، وأنقبَ الرجلُ، إذا نَقِبَ بعيرُه، ونَقِبَ الخُفُّ الملبوسُ، أي: تخرَّق[٨].

والمَحِيصُ مصدرُ حاص عنه يَحِيص حَيْصاً، وحُيوصًا، ومَحِيصاً، ومَحاصاً، وحَيَصاناً، أي: عَدلَ وحَادَ. يقال: ما عنه مَحِيص، أي: مَحِيدٌ ومَهْرَبٌ. والانحياصُ

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ١١ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٦٧ .

(٢) نسبها في القراءات الشاذة ص١٤٤ لابن عباس وعبيد عن أبي عمرو.

(٣) الصحاح (نقب).

(٤) ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/ ٢٨٥ عن يحيى بن يعمر.

(٥) في (ظ) و(م): بالتهديد.

(٦) في (ظ) و(م): ومهرب.

(٧) وذكرها الزمخشري في الكشاف ٤/ ١١.

(٨) الصحاح (نقب).

مثله؛ يقال للأولياء: حاصوا عن العدوّ، وللأعداء انهزموا[١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ أي: فيما ذكرناه في هذه السورة تذكرةٌ وموعظةٌ ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ أي: عقلٌ يتدبَّر به؛ فكنَى بالقلب عن العقل؛ لأنَّه موضِعه؛ قال معناه مجاهدٌ وغيره. وقيل: لمن كان له حياةٌ ونفسٌ مميِّزةٌ، فعبَّر عن النفس الحيَّة بالقلب؛ لأنَّه وطَنُها ومعدِنُ حياتها؛ كما قال امرؤ القيس[٢]:

أغَـرَّكِ مِـنِّـي أنَّ حُـبَّـكِ قـاتـلـي وأنَّكِ مهما تأمُري القلبَ يفعلِ

وفي التنزيل: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠].

وقال يحيى بن معاذ: القلبُ قلبان؛ قلبٌ محتشٍ بأشغال الدنيا، حتى إذا حضر أمرٌ من الأمور الآخرة، لم يَدْرِ ما يصنع، وقلبٌ قد احتشى بأهوال الآخرة، حتى إذا حضر أمرٌ من أمور الدنيا، لم يَدْرِ ما يصنع، لذهاب قلبه في الآخرة.

﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ أي: استمعَ القرآن. تقول العرب: ألقِ إليَّ سمعك، أي: استمع[٣]. وقد مضى في «طه» كيفية الاستماع وثمرته[٤].

﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: شاهد القلب؛ قال الزَّجَّاج[٥]: أي: قلبه حاضرٌ فيما يسمع. وقال سفيان: أي: لا يكون حاضراً وقلبه غائب[٦].

ثم قيل: الآية لأهل الكتاب؛ قاله مجاهد وقتادة. وقال الحسن: إنَّها في اليهود والنصارى خاصة. وقال محمد بن كعب وأبو صالح: إنَّها في أهل القرآن خاصَّة[٧].

---

(١) الصحاح (حيص).

(٢) في ديوانه ص١٣ ، والكلام في النكت والعيون ٥/ ٣٥٦ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٤٩ .

(٤) ١٤/ ٢٦ .

(٥) في معاني القرآن ٥/ ٤٩ .

(٦) تفسير الطبري ٢١/ ٤٦٤ بنحوه.

(٧) النكت والعيون ٥/ ٣٥٦ دون ذكر مجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ تقدَّم في «الأعراف»[١] وغيرها. واللُّغوبُ: التعبُ والإعياء، تقول منه: لَغَب يَلْغُب بالضم لُغُوباً، ولَغِب بالكسر يَلْغَب لُغُوباً، لغةٌ ضعيفةٌ فيه. وألغبته أنا، أي: أنصبته[٢].

قال قتادة والكلبي: هذه الآية نزلت في يهود المدينة؛ زعموا أنَّ الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام، أوَّلها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، واستراح يوم السبت؛ فجعلوه راحةً، فأكذبهم الله تعالى في ذلك[٣].

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ خطابٌ للنبيِّ ﷺ؛ أمرَه بالصبر على ما يقوله المشركون، أي: هَوِّنْ أمرَهم عليك. ونزلت قبل الأمر بالقتال؛ فهي منسوخة. وقيل: هو ثابتٌ للنبيِّ ﷺ وأمته. وقيل: معناه: فاصبر على ما يقوله اليهود من قولهم: إنَّ الله استراح يوم السبت[٤].

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ قيل: إنه أراد به الصلواتِ الخمس. قال أبو صالح: قبل طلوع الشمس: صلاةُ الصبح، وقبل الغروب: صلاة العصر. ورواه جرير بن عبد الله مرفوعاً[٥]؛ قال: كنا جلوساً عند النبيِّ ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلةَ البدر، فقال: «أمَا إنكم سترون ربَّكم كما ترون هذا

---

(١) ٩/ ٢٣٧-٢٣٨.

(٢) الصحاح (لغب).

(٣) النكت والعيون ٥/ ٣٥٦.

(٤) ينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ٣/ ٢٠-٢١، والكشاف ٤/ ١٢، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦٨.

(٥) النكت والعيون ٥/ ٣٥٧.

القمر، لا تُضامُّون في رؤيته، فإن استطعتم ألَّا تُغلَبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» يعني: العصر والفجر، ثم قرأ جرير: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]. متفق عليه، واللفظ لمسلم[١].

وقال ابن عباس: ﴿قَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾: الظهر والعصر ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ يعني: صلاة العشاءين[٢].

وقيل: المراد تسبيحُه بالقول تنزيهاً قبل طلوع الشمس وقبل الغروب؛ قاله عطاء الخُراسانيُّ وأبو الأحوص[٣].

وقال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ قال: ركعتي الفجر ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ الركعتين قبل المغرب[٤].

وقال ثُمامة بن عبد الله بنِ أنس[٥]: كان ذوو الألباب من أصحاب محمدٍ ﷺ يُصلُّون الركعتين قبل المغرب.

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: كنا بالمدينة، فإذا أذَّن المؤذن لصلاة المغرب، ابتدروا السَّواريَ فركعوا ركعتين، حتى إنَّ الرجل الغريبَ ليدخلُ المسجدَ فيحسب أنَّ الصلاةَ قد صُلِّيت مِن كثرة من يصلِّيهما[٦].

وقال قتادة: ما أدركتُ أحداً يُصلِّي الركعتينِ قبل المغرب[٧] إلَّا أنسًا وأبا بَرْزَة الأسلمي.

---

(١) صحيح البخاري (٥٥٤)، وصحيح مسلم (٦٣٣). وسلف ٤/ ١٨٠ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٨ .

(٣) ذكره عن أبي الأحوص الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٥٧ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٦٩ .

(٥) ابن مالك الأنصاري، روى عن جده أنس بن مالك والبراء بن عازب رضي الله عنهما، وكان من العلماء الصادقين، ولي قضاء البصرة، وكان يقول: صحبت جدي ثلاثين سنة. السير ٥/ ٢٠٤ . والأثر أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣٩٨٢).

(٦) صحيح مسلم (٨٣٧)، والقطعة الأولى منه عند أحمد (١٣٩٨٣)، والبخاري (٥٠٣) (٦٢٥).

(٧) قوله: قبل المغرب ليس في (م)، والمثبت من النسخ الخطية، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز ٥/ ١٦٩ ، والكلام منه.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ فيه أربعة أقوال: الأول: هو تسبيح الله تعالى في الليل، قاله أبو الأحوص. الثاني: أنها صلاة الليل كلِّه، قاله مجاهد. الثالث: أنها ركعتا الفجر، قاله ابن عباس. الرابع: أنها صلاة العشاء الآخِرة، قاله ابن زيد[١].

قال ابن العربي: مَن قال: إنه التسبيح في الليل، فيعضده الصحيح: «مَنْ تَعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله[٢]». وأما مَن قال: إنها الصلاة بالليل، فإنَّ الصلاةَ تسمَّى تسبيحاً لِمَا فيها من تسبيح الله، ومنه سُبْحةُ الضُّحى. وأما مَن قال: إنها صلاةُ الفجر والعشاء، فلأنَّهما من صلاة الليل، والعشاءُ أوضحه.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ قال عمر وعليٌّ وأبو هريرة والحسن بن عليٍّ والحسن البصريُّ والنَّخَعيُّ والشعبيُّ والأوزاعيُّ والزُّهريُّ: أدبار السجود الركعتان بعد المغرب، وأدبار النجوم الركعتان قبل الفجر، ورواه العوفيُّ عن ابن عباس[٣]، وقد رفعه ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «ركعتان بعد المغرب أدبارُ السجود» ذكره الثعلبي. ولفظ الماوردي: وروي عن ابن عباس قال: بِتُّ ليلةً عند النبيِّ ﷺ، فصلَّى ركعتين قبل الفجر، ثم خرج إلى الصلاة فقال: «يا ابن عباس، ركعتان قبل الفجر أدبار النجوم، وركعتان بعد المغرب أدبار السجود»[٤].

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٣٥٧.

(٢) بعدها في (ف) و(م): العلي العظيم. وتمام الحديث كما في أحكام القرآن ٤/ ١٧١٥: كفر عنه وغفر له. وبنحوه أخرجه أحمد (٢٢٦٧٣)، والبخاري (١١٥٤) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ. وسيرد ص٥٤٣ من هذا الجزء.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٢٧، وينظر تفسير الطبري ٢١/ ٤٦٩-٤٧٢، ٦٠٨-٦١٠، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٣٢-٢٣٣، والنكت والعيون ٥/ ٣٥٧.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٣٥٧، وأخرجه الترمذي (٣٢٧٥)، وسيرد ص٥٤٦ من هذا الجزء.

وقال أنس: قال النبيُّ ﷺ: «مَن صلَّى ركعتين بعد المغرب قبل أن يتكلَّم، كتبت صلاتُه في عِلِّيين»[١]. قال أنس: فقرأ في الركعة الأولى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قال مقاتل: ووقتها ما لم يَغب الشفقُ الأحمر[٢].

وعن ابن عباس أيضاً: هو الوتر[٣]. وقال ابن زيد: هو النوافل بعد الصلوات[٤]، ركعتان بعد كلِّ صلاةٍ مكتوبة، قال النَّحاس: والظاهرُ يدلُّ على هذا، إلَّا أنَّ الأَولى اتِّباع الأكثر، وهو صحيحٌ عن عليِّ بن أبي طالب ﷺ[٥].

وقال أبو الأحوص: هو التسبيحُ في أدبار السجود. قال ابن العربي: وهو الأقوى في النظر. وفي صحيح الحديث: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقول في دُبُر الصلاة المكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، اللهمَّ لا مانع لما أعطيتَ، ولا معطيَ لما منعتَ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ»[٦].

وقيل: إنه منسوخٌ بالفرائض، فلا يجبُ على أحدٍ إلَّا خمسُ صلوات، نَقَلَ ذلك الجماعة[٧].

الخامسة: قرأ نافعٌ وابن كثير وحمزة: «وَإِدْبَارَ السُّجُودِ» بكسر الهمزة على المصدر، مِن: أدبر الشيءُ إدباراً: إذا وَلَّى. الباقون بفتحها، جمع دُبُر[٨]. وهي قراءة

---

(١) أخرجه الدارقطني في غرائب مالك وقال: هذا موضوع، قاله الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص١٥٩ ، وقال في اللسان ٢/ ٢٤٨ : خبر باطل.

(٢) قوله: الأحمر، من (م).

(٣) الكشاف ٤/ ١٢ .

(٤) النكت والعيون ٥/ ٣٥٧ .

(٥) الناسخ والمنسوخ ٣/ ٢٣-٢٤ .

(٦) أحكام القرآن ٤/ ١٧١٦ ، والحديث أخرجه أحمد (١٨١٣٩)، والبخاري (٨٤٤)، ومسلم (٥٩٣) عن المغيرة بن شعبة ﷺ.

(٧) الناسخ والمنسوخ ٣/ ٢٤ .

(٨) السبعة ص٦٠٧ ، والتيسير ص٢٠٢ .

عليٍّ وابنِ عباس، ومثالُها: طُنُب وأطناب، أو دُبُر، كَقُفْل وأقفال. وقد استعملوه ظرفاً، نحو: جئتك في دبر الصلاة، وفي أدبار الصلاة.

ولا خلاف في آخر «والطُّورِ»: ﴿وَإِدْبَرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الآية: ٤٩] أنه بالكسر مصدر[١]، وهو ذهاب ضوئها إذا طلع الفجر الثاني، وهو البياض المنشقُّ من سواد الليل.

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ مفعول الاستماع محذوف؛ أي: استمع النداء أو الصوت أو الصيحة، وهي صيحةُ القيامة، وهي النفخة الثانية، والمنادي جبريل. وقيل: إسرافيل.

الزمخشري[٢]: وقيل: إسرافيلُ ينفخ، وجبريلُ ينادي، فينادي بالحشر ويقول: هَلُمُّوا إلى الحساب، فالنداء على هذا في المحشر. وقيل: واستمع نداءَ الكفار بالويل والثُّبور من مكان قريب، أي: يسمعُ الجميع فلا يَبْعُدُ أحدٌ عن ذلك النداء. قال عكرمة: ينادي منادي الرحمن، فكأنَّما ينادي في آذانهم. وقيل: المكانُ القريب: صخرةُ بيت المقدس. ويقال: إنَّها وسطُ الأرض، وأقرب الأرض من السماء باثني عشر ميلاً. وقال كعب: بثمانية عشر ميلاً، وذكر الأوَّلَ القشيريُّ والزمخشري[٢]، والثانيَ الماوردي[٣]. فيقف جبريل أو إسرافيل على الصخرة، فينادي بالحشر: أيتها العظامُ البالية، والأوصالُ المتقطِّعة، ويا عظاماً نخرة، ويا أكفاناً فانية، ويا قلوباً خاوية، ويا أبداناً فاسدة، ويا عيوناً سائلة، قوموا لعرض ربِّ العالمين. قال قتادة:

---

(١) بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٣٣ .

(٢) في الكشاف ٤/ ١٢ .

(٣) في النكت والعيون ٥/ ٣٥٨ ، وأخرجه الطبري ٢١/ ٤٧٥ .

هو إسرافيل صاحب الصُّور.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني: صيحةَ البعث. ومعنى «الخُرُوج» الاجتماعُ إلى الحساب. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ أي: يوم الخروج من القبور.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ﴾: نميتُ الأحياءَ ونحيي الموتى؛ أثبت هنا الحقيقة.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ إلى المنادي صاحب الصُّور؛ إلى بيت المقدس ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أي: هيِّن سهل. وقرأ الكوفيون: «تَشَقَّقُ» بتخفيف الشين على حذف التاء الأولى. الباقون بإدغام التاء في الشين. وأثبت ابن محيصن وابن كثير ويعقوب ياء «المنادي» في الحالين على الأصل، وأثبتها نافعٌ وأبو عمرو في الوصل لا غير، وحذفَ الباقون في الحالين[1].

قلت: وقد زادت السنَّة هذه الآية بياناً، فروى الترمذيُّ[2] عن معاويةَ بن حَيْدة، عن النبيِّ ﷺ في حديث ذَكَره، قال: وأشار بيده إلى الشام فقال: «هاهنا إلى هاهنا تحشرون ركباناً ومشاةً، وتُجرُّون على وجوهكم يوم القيامة؛ على أفواهكم الفِدَام، تُوفُون سبعين أمة، أنتم خيرُهم وأكرمهم على الله، وإنَّ أوَّلَ ما يُعْرِب عن أحدكم فَخِذُه»[3] في رواية أخرى[4]: «فَخِذُه وكفُّه».

وخرَّج عليُّ بن معبد عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ في حديثٍ ذَكَره: ثم يقول ـ يعني الله تعالى ـ لإسرافيل: «انفخْ نفخةَ البعث، فينفخُ، فتخرجُ الأرواحُ كأمثال

(١) السبعة ص٦٠٧، والتيسير ص٢٠٢، والنشر ٢/ ٣٧٦. ووافق الكوفيين في تخفيف الشين من قوله: «تشقق» أبو عمرو البصري من السبعة.

(٢) في (ق): المهدوي.

(٣) أخرجه الترمذي مفرقاً (٢٤٢٤)، (٣٠٠١)، (٣١٤٣). وأخرجه بلفظ المصنف النسائي في الكبرى (١١٣٦٧)، وأخرجه أحمد (٢٠٠١١) بنحوه. والفدام: ما يشد على فم الإبريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذي فيه، أي أنهم يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم. النهاية (فدم). وسلف عند تفسير الآية (٦٥) من سورة يس.

(٤) أخرجها أحمد (٢٠٠٤٣).

النحل، قد ملأت ما بين السماء والأرض، فيقول الله عزَّ وجلَّ: وعزَّتي وجلالي لَيَرجعنَّ كلُّ رُوحٍ إلى جسده، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد، ثم تدخلُ في الخياشيم، فتمشي في الأجساد مشيَ السُّمِّ في اللَّديغ، ثم تنشقُّ الأرضُ عنكم، وأنا أوَّلُ مَن تنشقُّ عنه الأرض، فتخرجون منها شباباً كلُّكم أبناء ثلاثٍ وثلاثين، واللسانُ يومئذٍ بالسُّريانيَّة» وذَكَر الحديث[١]، وقد ذكرنا جميع هذا وغيرَه في «التذكرة»[٢] مستوفى، والحمدُ لله.

قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: من تكذيبك وشتمك ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ أي: بمسلَّط تُجْبرهم على الإسلام؛ فتكون الآية منسوخةً بالأمر بالقتال[٣].

والجبَّار من الجبريَّة والتسلُّط، إذ لا يقال جبَّارٌ بمعنى مُجبِر، كما لا يقال: خرَّاج بمعنى مُخرِج؛ حكاه القشيري.

النحاس[٤]: وقيل: معنى جبَّار: لست تُجبِرهم، وهو خطأ؛ لأنه لا يكون فَعَّال مِن أفعل. وحكى الثعلبيّ: وقال ثعلب: قد جاءت أحرف: فَعَّال بمعنى مُفعِل، وهي شاذَّة، جبَّار بمعنى مُجبِر، ودرَّاك بمعنى مُدرِك، وسَرَّاع بمعنى مُسرِع، وبَكَّاء بمعنى مُبكٍ، وعدَّاء بمعنى مُعدٍ. وقد قُرئ: «وما أهديكم إلا سبيلَ الرَّشَّاد»[٥] [غافر: ٢٩] بتشديد الشين بمعنى المرشد، وهو موسى.

وقيل: هو الله عزَّ وجلَّ[٦].

---

(١) لم نقف على رواية علي بن معبد، وأخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال (٣٦ المعجم الكبير ٢٥/ ٢٦٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٣٨٨) عن محمد بن كعب، عن أبي هريرة. وأخرجه البيهقي في البعث والنشور (٦٦٩) عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة ﷺ. قال ابن كثير في تفسير سورة الأنعام الآية (٧٣): هذا حديث مشهور، وهو غريب جداً.

(٢) ص٢٠٢ ، ٢٠٧ فما بعد.

(٣) الوسيط للواحدي ٤/ ١٧٢ ، وزاد المسير ٨/ ٢٦ .

(٤) في إعراب القرآن ٤/ ٢٣٤ .

(٥) هي قراءة معاذ بن جبل ﷺ كما في القراءات الشاذة ص١٣٢ .

(٦) في النكت والعيون ٥/ ٣٥٨ : يعني بربّ، قاله الضحاك؛ لأن الجبار هو الله تعالى سلطانه.

وكذلك قرئ: «أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَّاكِينَ» [الكهف: ٧٩] يعني: ممسكين. وقال أبو حامد الخارْزَنجيّ: تقول العرب: سيف سَقَّاط بمعنى مُسقِط.

وقيل: «بِجَبَّارٍ»: بمسيطر كما في الغاشية: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الآية: ٢٢].

وقال الفرَّاء[١]: سمعتُ من العرب مَن يقول: جَبَره على الأمر، أي: قهره، فالجبَّار من هذه اللغة بمعنى القهر صحيح. وقيل: الجبَّار من قولهم: جبرته على الأمر، أي: أجبرته. وهي لغة كنانية، وهما لغتان.

الجوهري[٢]: وأجبرته على الأمر: أكرهته عليه، وأجبرته ـ أيضاً ـ نسبته إلى الجبر، كما تقول: أكفرتُه، إذا نسبتَه إلى الكفر.

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ قال ابن عباس: قالوا: يا رسول الله، لو خوَّفتنا، فنزلت: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أي: ما أعددتُه لمن عصاني من العذاب[٣]؛ فالوعيد العذاب، والوعد الثواب، قال الشاعر[٤]:

وإنـــيَ إن[٥] أوْعَـــدْتُـــهُ أو وَعَـــدْتُـــهُ لَـمُـخْـلِـفُ إيـعـادي ومُـنـجـزُ مـوعـدي

وكان قتادةُ يقول: اللَّهمَّ اجعلْنا ممن يخافُ وعيدَكَ ويرجو موعدَكَ[٦].

وأثبت الياءَ في «وَعِيدِي» يعقوبُ في الحالين، وأثبتها ورشٌ في الوصلِ دون الوقف، وحذفَ الباقون في الحالين[٧]. والله أعلم.

تَّم تفسيرُ سورة «ق» والحمدُ لله.

---

(١) في معاني القرآن ٣/ ٨١.

(٢) في الصحاح (جبر).

(٣) أخرجه الطبري ٢١/ ٤٧٨.

(٤) هو عامر بن الطفيل، والبيت في ديوانه ص٥٨.

(٥) المثبت من (ق)، وهو الموافق للديوان وفي غير (ق): وإن. وسلف ٥/ ٤٧٨.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٣٥٩.

(٧) التيسير ص٢٠٢، والنشر ٢/ ٣٧٦.